بسم الله الرحمن الرحيم

رَجَاءُ رَحْمَةِ اللهِ شِعَارُ القَانِتِ الأَوَّاهِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي رَزَقَ المُؤْمِنِينَ رَجَاءَهُ، فَبَاتُوا يَرْقُبُونَ مَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَكْرَمَ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ بِالحَسَنَاتِ، وَأَثَابَهُمْ عَلَيْهِ رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَأَطْمَعُهُمْ فِي عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَصَحَابَتِهِ الأَوْفِيَاءِ العِظَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

اتَّقُوا اللهَ تَقْوَى الرَّاجِينَ مِنَ اللهِ المَثُوبَةَ وَالرِّضْوَانَ، الطَّامِحِينَ إِلى جَنَّتِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَآنٍ، وَاعْلَمُوا – وَفَّقَكُمُ اللهُ – أَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنْ جَعَلَهُمْ لِرَحْمَتِهِ رَاجِينَ، وَإِلى مَغْفِرَتِهِ مُسَارِعِينَ، وَفِي أَفْضَالِهِ طَامِعِينَ. هَذَا وَإِنَّ لِرَجَاءِ اللهِ فَضْلًا وَأَيَّ فَضْلٍ، فَهَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – يَقُولُ: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾[1]، وَرَجَاءُ اللهِ هَدْيُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ، قَالَ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾[2]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾[3]، بَلْ هُوَ سَمْتُ أُولِي العِلْمِ العَابِدِينَ العَارِفِينَ، قَالَ –جَلَّ وَعَلا–: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[4]، فَهَذَا هَدْيُ المُؤْمِنِينَ – يَا عِبَادَ اللهِ – يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ، وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ، وَيَأْخُذُونَ بِالأَسْبَابِ، وَيَرْجُونَ لِقَاءَ اللهِ،

(١) الشعراء: ٨٢
(٢) فاطر: ٢٩
(٣) الكهف: ١١٠
(٤) الزمر: ٩

وَقَدْ نَعَى اللهُ – تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ – عَلَى الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، وَبَيَّنَ بَعْضَ صِفَاتِهِمْ وَعَمَلِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ، أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[1]، فَقَدْ وَصَفَ مَنْ لا يَرْجُو لِقَاءَهُ بِالغَفْلَةِ، وَقَالَ عَنْهُمْ: ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[2]، وَوَصَفَهُمْ بِالاستِكْبَارِ وَالعُتُوِّ –وَقَانَا اللهُ شَرَّهُمَا– فَقَالَ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾[3]، وَسُنَّةُ المُصْطَفَى بَيَّنَتْ هَذَا الهَدْيَ العَظِيمَ، وَالخُلُقَ القَوِيمَ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: ((لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ)).

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لِلرَّجَاءِ مَعَانِيَ مُتَعَدِّدَةً فِي كِتَابِ اللهِ، فَمِنْ مَعَانِيهِ الخَوْفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴾[4]، أَيْ: مَا لَكُمْ لا تَخَافُونَهُ، وَبِهَذَا المَعْنَى وَرَدَتْ هَذِهِ الآيَةُ أَيْضًا: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴾[5]، وَمِنْ مَعَانِيهِ – يَا عِبَادَ اللهِ – الطَّمَعُ فِي رَحْمَةِ اللهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[6]، أَيْ: يَطْمَعُونَ فِيهَا، وَمِنَ المَعَانِي تَوَقُّعُ الثَّوَابِ، قَالَ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–: ﴿ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾[7].

وَمِمَّا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُحَقِّقَهُ فِي قَلْبِهِ وَيَسْعَى إِلَيْهِ هَذَا الرَّجَاءُ المَذْكُورُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْهُ فِي قَلْبِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ بِعَوَامِلَ عِدَّةٍ، فَمِنْ تِلْكَ العَوَامِلِ – أَيُّهَا الرَّاجُونَ رَحْمَةَ اللهِ – أَنْ

(١) يونس: ٧
(٢) يونس: ١٥
(٣) الفرقان: ٢١
(٤) نوح: ١٣
(٥) النبأ: ٢٧
(٦) البقرة: ٢١٨
(٧) فاطر: ٢٩

يَتَذَكَّرَ الإِنْسَانُ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولًا، وَهَدَاهُ لِلدِّينِ القَوِيمِ، وَرَزَقَهُ الصِّحَّةَ وَالعَافِيَةَ، وَغَيْرَهَا؛ فَبِذَلِكَ يَعْمُرُ الرَّجَاءُ قَلْبَهُ، وَتَسْكُنُ الطُّمَأْنِينَةُ فُؤَادَهُ، وَمِنَ الوَسَائِلِ الَّتِي تَجْعَلُ الإِنْسَانَ رَاجِيًا لِرَبِّهِ – يَا عِبَادَ اللهِ – تَذَكُّرُ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ المُوَقِّنِينَ مِنْ نَعِيمٍ دَائِمٍ لا يَزُولُ، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[1]؛ فَتَشْرَئِبُّ نَفْسُهُ إِلَى ذَلِكَ النَّعِيمِ الأَبَدِيِّ، فَيَعْمُرُ الرَّجَاءُ قَلْبَهُ، وَيَشْغَلُ فُؤَادَهُ وَلُبَّهُ، وَمِمَّا يَجْعَلُ قَلْبَ المُؤْمِنِ عَامِرًا بِالرَّجَاءِ تَذَكُّرُ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُسْلِمِ مِنْ حَسَنَاتٍ كَثِيرَةٍ لِمُجَرَّدِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي عَمَلِ الخَيْرِ، وَمَا أَعَدَّهُ مِنْ عَفْوٍ عَنِ السَّيِّئَاتِ إِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا، بَلِ اكْتَفَى بِالتَّفْكِيرِ فِيهَا، جَاءَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلامُ: ((وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ)).

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّجَاءَ بَابٌ رَحْبٌ لِلأَمَلِ، وَشِرَاعٌ يَقُودُ الإِنْسَانَ إِلَى مَرَافِئِ التَّقْوَى وَحُسْنِ العَمَلِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ لَنَا إِلَى الرَّجَاءِ أَبْوَابًا، وَوَقَانَا بِسَبَبِهِ جَحِيمًا وَعَذَابًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ سَخَطُهُ وَعُقُوبَتُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الأَنَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ثَمَرَاتٍ يَانِعَةً، وَآثَارًا بَاهِرَةً، فَمِنْ فَوَائِدِ رَجَاءِ اللهِ وَثِمَارِهِ المُوَاظَبَةُ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَالتَّلَذُّذُ بِهَا، فَإِنَّ الإِنْسَانَ إِنْ أُكْرِمَ بِشَيْءٍ مَحْدُودٍ سَارَعَ إِلَيْهِ وَبَادَرَ، فَكَيْفَ

(١) آل عمران: ١٣٣

بِمَنْ يُكْرَمُ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، غَيْرِ مَحْدُودَةٍ وَلا مَقْطُوعَةٍ! وَمِنْ آثَارِهِ الإِكْثَارُ مِنْ عِبَادَةِ الدُّعَاءِ؛ لأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الرَّجَاءِ، وَالدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ وَأُسُّهَا، وَأَسَاسُهَا وَنِبْرَاسُهَا، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ؛ قَالَ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى– : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]، وَمِنْ آثَارِهِ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنِ اقْتَرَفَ ذَنْبًا، ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ بِصِدْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[2].

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَلْنَكُنْ مِنْ أَهْلِ الرَّجَاءِ الطَّامِحِينَ إِلى عَفْوِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ، المُحْسِنِينَ الظَّنَّ بِهِ، السَّاعِينَ إِلى جَنَّتِهِ وَمَثُوبَتِهِ.

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ

(١) البقرة: ١٨٦
(٢) الحجر: ٥٦
(٣) الأحزاب: ٥٦

نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.